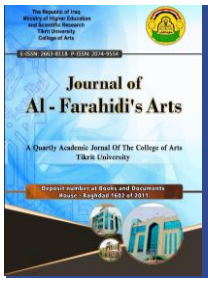

Tikrit University | جامعة تكريت

مجلة آداب الفراهيدي

Journal of Al-Farahidi's Arts

Biography of The Companion Safwan Ibn Al-Mu'attal and His Military Role

سيرة الصحابي صفوان بن المعطل (رضي الله عنه) ودوره العسكري

[*] Asst. Prof. Dr. Mohammed Abdullah Ahmed

[1] Asst. Prof. Dr. Emad Kamil Marei

[*], [1] Department of History, College of Arts, University of Mosul

[*], [1] Nineveh, Iraq

(*) أ. م. د. محمد عبد الله أحمد

(1) أ. م. د. عماد كامل مرعي

(*)، (1) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الموصل

(*)، (1) نينوى، العراق

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
10/08/2024	17/10/2024	30/12/2024

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 2663-8118 https://doi.org/10.25130/jaa.9th.4.11 Conference (9th) No (4) September (2024) P (116-123)

ABSTRACT

The study of Islamic figures is one of the important studies to highlight the most accurate historical details of a certain time, and it is also one of the studies that provide lessons and sermons to the reader, with what it provides of biographies and positions that raise the spirits, especially since the subject of our research is the personality of one of the companions, may God be pleased with them, represented by the personality of Safwan bin Al-Muattal Al-Dhakwani, nicknamed Abu Amr, who was born in Medina, and he is one of the companions who accompanied the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and witnessed many battles with him.

He was known for his honesty and courage, and because of his courage, the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, made him the rearguard of the army, collecting what fell from the fighters and returning it to them. He had many battles after the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, in the island during the reign of Omar bin Al-Khattab, may God be pleased with him, then he joined the armies of conquest in Armenia and continued to fight there until he was martyred in Samosata, may God have mercy on him and be pleased with him.

KEYWORDS

Safwan, The Prophet, The Companions, The Messenger, Islam

الملخص

تعد دراسة الشخصيات الإسلامية من الدراسات المهمة لإبرازها ادق التفاصيل التاريخية في زمن ما، كما وتعد من الدراسات التي تقدم دروساً وعظة للقارئ، بما تقدمه من سير ومواقف تنهض بها الهمم، خاصة وان موضوع بحثنا هو شخصية أحد الصحابة رضوان الله عليهم والمتمثلة بشخصية صفوان بن المعطل الذكواني المكنى بابي عمرو ولد في المدينة المنورة، وهو من الصحابة الذين رافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه العديد من الغزوات.

كان معروفاً عنه الصدق والشجاعة، ولشجاعته جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساقة الجيش يجمع ما يسقط من المقاتلين ويعيده إليهم، وله العديد من الغزوات بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجزيرة في عهد عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه، ثم التحق بجيوش الفتح في ارمينية وظل يجاهد فيها الى ان استشهد في سميساط رحمه الله ورضوانه عليه.

الكلمات المفتاحية

صفوان، النبي، الصحابة، الرسول، الإسلام

Copyright and License: This is an Open-Access Article distributed under A Creative Commons Attribution 4.0 License, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.

المقدمة:

يُعَدُّ البحثُ في التراجُم من المواضيع التاريخية المهمة، إذ يكون مَفصَلًا مُهِمًّا من مَفاصِلِ التاريخ الإسلامي، ورُكنًا رَكينًا لا يُستغنَى عنهُ في الجَوانبِ الشخصية أو العامّة في المَجالاتِ السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينيةِ والثقافية، فَمِن خلالِ التعمُّقِ بأغوار الشخصيةِ والاطّلاع على مَراحلِ حياتِها بصورةٍ خاصّة والتاريخ الإسلامي بصورةٍ عامّة، مما يعطي بعض الصور لطبيعة المجتمع في ذلك العصر.

والبحث يتطرق لسيرة شخصية صفوان بن المعطل التي عاصرت الاحداث الاسلامية الكبرى وشهدها مع قومه الانصار وامن بـ الاسلام وصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتَكَوّنَت الدراسة من ثلاث مباحث، شمل المبحث الأولُ عن سيرته والنسب والنشأة وصفاته واقوال الصحابة والمورخين فيه، وتناول المبحث الثاني الحياة الأسرية وأعبائها وتكلم عن زواجه وابنائه ومواليه، أمّا المبحث الثالث والأخير فقد اختص في الحديث عن جهوده العسكرية في الفتوحات والتي كان من ضمنها فتح أرمينيا وأذربيجان وبعض المدن في تركيا الحالية.

المبحث الأول:

أولاً: اسمُه ونسبه

صفوان بن المعطل(*) بن ربيضة بن خزاعي بن محارب بن مرّة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور، السّلمي الذّكواني (ابن عبدالبر، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٥/٢)، يُكنَّى أبو عمرٍو (ابن عبدالبر، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٥/٢).

ثانياً: نشأته وصِفاتُه الخُلُقية ووفاتُه (رضي اللهُ عنه):

تبدو شمسُ الحديث عن نشأة الصحابي صفوان بن المعطل دافئةً وواضحة في سماء الواقع ، إذ توافَرَت المادةُ العلمية التي تتحدّث عن نشأته وحياتِه وصِفاته ومَواهِبه ، وإن كانت المُدّة التي بدأ نجمُ هذا الصحابي الجليل بالظهور – فترةَ شبابه – كانت الأوفَرُ حظاً من سابَقَتها - وهو أمر طبيعي - فمواهِبُه وهو صغير لم تكن مُختمرةً كفايةً لتظهرَ وتَبرُزَ .

لعلّ أبرزَ ما يُثير الانتباهُ من صفاته هو شجاعتُه اللافتة ، فيُروَى أنّه كان شجاعاً بطلاً من الأبطال (ابن عبدالبر، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٥/٢)، فقد كان مع من طلب العرنيّين الذين أغاروا على لقاحِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يكون لي ساقة جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابن عبدالبر، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٥/٢)، بالرُّغم من صِغَرِ سِنّهِ إذ أنّ الحادثة كانت في السنة الثانية من الهجرة ، كما أنّهُ اشترَك في غزَوات النبي ما بعدَ الخندق ، وقد ذُكِرَ له موقفٌ في فُتوح الشام يدلُّ على شجاعته وإقدامه فيُروى ، لمّا نزلَ المسلمون على دمشق حَملَ صفوانُ على رجلٍ من الرُّوم بداريّا، وعليه حِلْيةُ الأعاجم، فَطَعَنَهُ صَفوان فصرَعَهُ، فصاحَت زوجةُ الرُّوميّ على صفوان، وأقبَلَتْ نحوَه فقال:

ولقد شَهِدْتُ الخيلَ يَسطعُ نَقْعُها ... ما بين داريّا دمشق إلى نَوى
فطعنتُ ذا حُلْيٍ فصاحَت عِرْسُه ... يَا ابنَ المعطَّلِ ما تُريد بما أرَى
فأجبتُها إنّي لأَترُكُ بَعْلَها ... بالديرِ مُنْعَفِرَ المضاحكِ بالثَّرى

(سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، صفحة ٣٠٩/٥)

كما ذُكِرَ عنه وَرَعُه الشديد والتزامُه الأخلاقي الملحوظ ، ولعلّ موقفَه مع أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك حين رآها بعد انصراف الجيش فقالت فما أنْ لَحِظَني حتى قال : ((إنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ! لَمْ يَنْطِقْ بِغَيْرِهَا، وَأَنَاخَ بَعِيْرَهُ، وَرَكَّبَهَا، وَسَارَ يَقُوْدُ بِهَا، حَتَّى لَحِقَ النَّاسَ نَازِلِيْنَ فِي المَضْحَى)) (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، صفحة

(*) ومُعطَّل: مفعّل من التعطيل، عطَّلت المنزلَ أعطِّله تعطيلاً. والعَطَل: تمامُ الجِسم وطولُه رجلٌ حسَن العَطَلِ. والعَطِيل: الشِّمْراخ من لقاح النخل، لغة يمانية، وامرأةٌ عاطل: لا حَلْيَ عليها . ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) ، الاشتقاق ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي (القاهرة : د.ت) ،ط٣ ، ٣١٠ .

٣٠٩/٥)، وقد شهدَ النبيُّ في هذا في حادثة الإفك التي سنأتي عليها في مَحلِّها من حيثُ قال عن صفوان طيبَ القَلبِ ولم يكُن يَدخُلُ بَيتي إلّا مَعي .

ثالثا: أقوالُ النبي والصحابة فيه:

قال عنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم عندما ضَرَبَ حسانَ: دعُوا صفوان فإنّه يُحبُّ اللهَ ورسولَه (ابن سعد، ١٩٦٨، صفحة ١٥٦/٥).

وقالت أمُّ المؤمنين عائشة عن أخلاقه : استيقَظتُ باسترجاعه حينَ عرَفني فخمّرتُ وَجهي بمِلحَفَتي ، فوالله إنْ كلّمني كلمةً حتى أناخَ بعيرَه ، ثم وطى على يده مولّيا عنّي ، فرَكبتُ على رحله وانطلق يقودُ بي حتى جئنا العسكرَ شد الضحى (ابن سعد، ١٩٦٨، صفحة ١٥٣/٥).

رابعاً: أقوالُ المؤرخين وأصحابُ التراجم فيه:

قال خليفة بن خياط : أقام بالجزيرة زمانًا, قال: قبرُ صفوان بن المعطل بناحية شمشاط معروف الموضع, يؤتَى ويُصلّى عليه (ابن سعد، ١٩٦٨، صفحة ١٥٨/٥).

وقال صاحبُ الاستيعاب:

وَكَانَ فَاضلا خيرا أثنَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي قصَّة الْإِفْك (ابن عبدالبر، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٥/٢).

وقال صاحبُ الاكمال في ذِكر من له روايةٌ في مُسنَد الإمام أحمدَ من الرجال:

قيل أنّه غزا الرومَ في خلافة معاوية فاندقّت ساقَهُ ثم نزلَ يُطاعِنُ حتى ماتَ (المكي، ١٩٩٨).

المبحث الثاني:

المطلب الأول: حياتُه العِلمية:

أُثِرَ عن صفوانَ بن المعطل (رضي الله عنه) وأرضاهُ حرصُه على طلَب العلم الشرعي من النبي وكبارِ الصحابة ، فقد رُوي عن أبي هريرة، أنّه قال: سأل صفوانُ بن المعطل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا نبيَّ الله، إنّي سائلُك عن أمرٍ أنت به عالِمٌ وأنا بهِ جاهِلٌ، قال: «ما هو؟» قال: هل في ساعات الليلِ والنهار من ساعة يُكرَه فيها الصلاةُ؟ قال: «نعم، إذا صلّيتَ الصبحَ فَدَعِ الصّلاةَ حتى تطلُع الشمسُ، فإنّها تطلُع بِقَرنَي الشيطان، ثمّ صَلِّ فإنّ الصلاةَ محضورة متقبّلة حتى تستوي الشمسُ على رأسك كالرُّمح، فإذا كانت على رأسك كالرُّمح فَدَعِ الصلاةَ، فإنّ تلكَ الساعةَ التي تُسجَرُ فيها جهنّم، وتُفتَحُ فيها أبوابُها حتى تزيغَ الشمسُ عن حاجِبك الأيمن، فإذا رأيتَ فصلِّ، فإنّ الصلاةَ محضورة متقبّلة حتى تُصلّي العصرَ، ثمّ دَع الصلاةَ حتى تغيبُ الشمسُ» (الاصفهاني، ١٩٩٨، صفحة ١٥٠/٣)، كما أنّه كان يُراقبُ صلاةَ النّبيّ واوقاتِ قيامِه لِيتعلّم منه فيَروي عن نَفسه قائلاً : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ، فرمَقتُ صلاتَه، فصلّى العِشاءَ الآخرة ثمّ نامَ. فلمّا كان نصفُ الليل استنبَهَ فتلا العشرَ آياتٍ آخِرَ سورةِ آل عِمران. ثمّ قامَ، ثم تسوّك ثمّ قامَ فتوضّأ وصلّى ركعتين. فلا أدري أقيامُه أم ركوعُه أم سجودُه أطولُ. ثم انصرفَ فنامَ ثمّ استيقظَ ففعل مثلَ ذلك. فلم يَزل يفعلُ كما فَعَلَ أول مرّةٍ حتى صلّى إحدى عشرةَ ركعةً (حنبل، د/ت، صفحة ٣١٢/٥)،مما ثبت شدةُ اهتمامه بِتعلُّمِ أُمورِ الدينِ.

كما ذُكِرَ أن له روايةً لحديثين من أحاديث النبي منها، حيثُ وَرَدَ اسمُه في تحريم نبيذِ الجر الذي نادى به بأمر رسول الله (ابن قانع، ١٩٩٦، صفحة ١٣/٢). فضلاً عن طلبه العلم ومتابعتِه كان شاعراً مجيداً يُخشَى من شِعره كما يُخشى من سَيفه ، رَوَى عنه الحسنُ أنّه قال: شكى رجل صفوان بن المعطل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هجاني صفوان، وكان صفوان يقول الشعر، فقال النبي: "دعوا صفوان فإنه طيبَ القلب خبيثُ اللسان" (ابن الاثير، ٢٠٠٢، صفحة ٤٢٢/٢).

المطلب الثاني: حياتُه الأسَرية:

تطلُّ علينا الحياةُ الأسريةُ للصحابي صفوان بن المعطل على استحياء، اذ لا نكادُ نستبينُ طبيعةَ هذه العلاقة بشكل عام، أو الدخول والتعمُّق في تفاصيلها بشكل خاصّ ، ولعلّ النصوص المتوافرة في هذا الجانب

تنقسم إلى قسمين الأول : يُبيّنُ أن زواجَه كان بعدَ غزوة المريسيع (سنة ٥ هـ/ ٦٢٦م)وحادثةِ الإفك ، حيثُ قال عن نفسه حينَها ، والله ما كشفتُ كنفَ أُنثَى قَط (ابن حجر العسقلاني ا.، ١٩٩٤، صفحة ٢٨٠/٥).

ولعلّ هذا يكشفُ حالة العفاف التي امتلكَها هذا الصحابي الماجد ، وحالةَ العزوبية التي عاشَها قبلَ زواجِه . أمّا الثاني ما ذكرَتْه أمُّ المؤمنين عائشةُ حينَ سُئلت عنه حيثُ أشارت إلى كَونه حَصوراً لا يأتي النساءَ (ابن كثير، ١٩٦٦، صفحة ١٨٨/٤)، وقد ذُكِرَ في شرح الحديث ما يُفيد في تفسير هذا الأمر ، وَرَدَ في قصة الإفك قالت فبلغَ الأمرُ ذلك الرجل فقال سُبحانَ اللهِ واللهِ ما كشفتُ كنفَ أنثى قط أي ما جامَعتُها والكَنَفُ بفتحتين الثوبُ الساتِرُ ومنه قولُهم أنت في كنف الله أي في ستره والجمعُ بينه وبين حديث أبي سعيد على ما ذكر القُرطبي أنّ مُرادَه بقوله ما كشفتُ كنفَ أنثى قط أي بِزِنًا قُلتُ وفيهِ نَظَرٌ لأنّ في رواية سعيد بن أبي هلال عن هشام بن عروة في قصة الإفك أنّ الرجُل الذي قِيل فيه ما قِيل لمّا بلغه الحديث قال والله ما أصبتُ امرأةً قط حلالًا ولا حَرامًا وفي حديث بن عباس عند الطبراني وكان لا يَقرُبُ النساءَ فالذي يظهَرُ أنّ مُرادَه بالنفي المذكور ما قبلَ هذه القصة ولا مانِعَ أن يتزوج بعد ذلك فهذا الجمعُ لا اعتراضَ عليه إلا بما جاء عن بن إسحاق أنّه كان حصورًا لكنّه لم يَثبُتْ فلا يُعارضُ الحديثَ الصحيحَ (ابن حجر العسقلاني ا.، ٢٠٠٠، صفحة ٤٦٢/٨).

لقد وَرَدَ نصٌّ يَتيمٌ في المصادر الحديثية يُظهِرُ أنّ زوجة صفوان بن المعطل اشتَكَت منه للنبي صلى الله عليه وسلم من عدة أمور إذ روي عن ابي سعيد الخدري قال : ، ((جاءت امرأةٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسولَ الله إنّ زوجي صفوانَ بن المعطل يَضربُني إذا صليتُ ، ويُفَطِّرُني إذا صمتُ، ولا يُصلّي صلاةَ الصُبح حتى تطلُع الشمسُ. قال: وصفوان عندَه فسألَه عمّا قالت فقال: يا رسولَ الله، أمّا قولها: يضربني إذا صليت فإنّها تقرأ بسورتي وقد نهيتُها عنها. فقال: لو كانت سورة واحدة لكفت الناس. قال: وأما قولها: يُفَطِّرُني إذا صمتُ، فإنّها تَنطَلِقُ فتَصومُ، وأنا رجل شابٌّ فلا أصبِرُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ: لا تَصُمِ امرأةٌ إلا بإذنِ زوجِها. وأمّا قولُها: إنّي لا أصلّي حتى تطلُع الشمسُ، فإنا أهلُ بيت قد عُرف لنا ذاك، إنّا لا نكادُ نستيقظ حتى تطلع الشمسُ. قال: فإذا استيقظتَ فَصَلِّ)) (حنبل، د/ت، صفحة ٨٠/٣).

إنّ هذا النصّ يُبيّنُ بشكلٍ مَلحوظ بعضَ الجوانب المُهمّة في حياة الصحابي صفوان بن المعطل مثل، أنّه في عصر الرسالة كان شاباً حدثاً وهذا الأمرُ يقودُنا فيما بعد ألى تحديد زمن استشهاده ؛ فضلاً على أنّه كان لا يصلي الفجرَ في وقته – ولعلّه ليس دائماً – وهي من ضِمن العادات التي ورثَها صفوانُ عن أسلافه ؛ كما يُبيّنُ النصَّ أن صفوان بن المعطل كان يُجالسُ الرسولَ لِيستَمعَ منه ويَتعلَّمَ ما ينفعُه خصوصاً أنّه أسلَمَ بعد السنة الخامسة للهجرة فكانت مُجالستُه مُحاوَلَةً منه لاستدراك ما فاتَه من خَير .

غيرَ أنَ هذا النصَّ وغيرَه لم يذكُر أيَّ معلومات عن زوجة صفوان تلك ، مثل اسمِها أو قبيلتِها أو ايّ تفاصيلَ عن حياتِها ممّا يُسدِلُ الستارَ عن أيّ معلومات تقعُ في هذا الإطار ، وقد ذُكِرَ أنّ له بيتاً في البصرة غيرَ أنّ المصادرَ لم تُسعفْنا بتفاصيل مفيدة عن حياته في البصرة من حيثُ متى سَكَنَها ؟ هل في فُتوح العراق أم بعده ؟ وأين موقعُ بَيتِه ؟ وهل رَجَع إلَى المدينة ثمّ انطلَق إلى أرمينيا وأذربيجان حيثُ كان أحدَ قادةِ فَتحِها .

أمّا أبناؤه فقد ذُكِرَ انّه كان يُكنّى بأبي عمرٍو ، غيرَ أنّ المصادر لم تذكُر هل عمرو ابنه فعلاً أم انّه كنيةٌ فقط من دون وجودٍ فِعليّ لِعمرٍو هذا وقد وَرَدَ انّه جاءت امرأتُه تشكوه ومعها ابنان لها منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهما أشبَهُ به من الغُراب بِالغُراب (ابن كثير، ١٩٦٦، صفحة ١٨٨/٤)، غيرَ أنّ المصدر لم يذكُر اسماءَ ابنَيه .

وقد اقتَصَرَ ذِكرُ مَواليه على أَبي مصبح الهرمي مولَى صفوان بن المعطل قال أَبو علي الهجري في النوادر له صُحبَةٌ (ابن حجر العسقلاني ا.، ١٩٩٤، صفحة ٤٦٢/٨).

المبحث الثالث: جهودُه العسكرية ومَو اقفٌ من حياته ووفاته:

المطلب الأول: جُهودُه العسكرية:

يُذكَرُ أنّ صفوانَ بن المعطل كان فارسًا شجاعا لا يُشَقُّ له غبارٌ ، وقد أثبَتَت التجارُبُ هذا حيثُ شارك في جميع غزَوات النبي صلى الله عليه وسلم التي تَلَت غزوة المريسيع ، إذ كان ممّن طارد الغُزاة الذين أغاروا على سَرح النبي في الغابة حيث كان مع كرز بن جابر الفِهري(*) في طَلَب العرنيين الذين أغاروا على لقاح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذي الْجُدُر ولشجاعته تلك وإقدامِه جعلَه النبيُّ على ساقةِ الجيش (ابن سعد، ١٩٦٨، صفحة ١٥٦/٥).

ورُغمَ الغُموض الذي يلِفُّ حياتَه في الجانب العسكري ، ما خَلا غزوة الجزيرة في زمن عمر بن الخطاب حيث فتح أرمينية وأذربيجان والحديث على إنه غزا الروم في خلافة معاويةَ فاندقَّت ساقُه، ولم يَزل يُطاعن حتى ماتَ (ابن عبدالبر، ١٩٩٢، صفحة ٧٢٥/٢)، ولم يُذكَر عدا هاتين الحالتين أيُّ نَشاط عسكري له بالرُّغم من كَونِه أحدَ قادة فُتوح الجزيرة وهؤلاء قد انحَدَروا من فُتوحات الشام والذي يُرجَّحُ أنّه قد شارك بِها فَضلا عن حروب الرّدة في عصر أبي بكر الصديق ، لِذا تطلَّب الأمرُ جمعَ فُتاتِ النصوص التاريخية ذاتِ الصلة وتكوينِ صورةٍ واضحةٍ عن ذلك الدورِ ، إذ وَرَدَ أنّ عياضًا بن غُنم(*) جعلَهُ على مَيسرة الجيش الذي فتح الجزيرة سنة ١٨هـ وكان أحَدَ شهودِ اتفاق الصُلح التي عَقدَها عياضٌ بن غُنم مع أهل أرمينية (البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٨، صفحة ١٧٣)، والتي جاء بها : ((بسم اللَّه الرَّحْمَنِ الرحيم: هَذَا كتابٌ من عياض بْن غنم ومَن معه منَ المسلمين لأهل الرها أنّي أمِنتُهم عَلَى دمائِهم وأموالِهم وذَراريهم ونِسائهم ومدينتِهم وطواحينِهم إذا أدّوا الحقَّ الَّذِي عليهم، ولنا عليهم أن يُصلِحوا جسورَنا ويَهدوا ضالّنا شهد اللَّه وملائكته والمسلمون)) (البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٨، صفحة ١٧٣).

وبعدَ هذا كُلّفَ صفوانُ بن المعطل (رضي الله عنه) برِفقه حبيب بن مسلمة الفهري بِفَتحِ سميساط(*) ، فسارا إليها وأقاما عليها حتى غَلَبا عَلَى قُرىً وحُصونٍ من قُراها وحُصونها فصالَحَهُ أهلُها عَلَى مثل صُلحِ أهلِ الرها(*)، وكان عياضٌ - قبل هذا - يَغزو منَ الرها ثُمَّ يَرجعُ إليها (البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٨٨، صفحة ١٧٣).

وهذه النصوصُ تُعطي دوراً مهمّا للصحابي الجليل صفوان بن المعطل في فتح أرمينيا ، وتجعلُه في مصافِّ القادة العظماء الأوائل الذين أوصَلوا الإسلام وشريعتَه إلى القارة الأوربية في وَقتٍ مُبَكِّرٍ .

المطلب الثاني: مو اقفٌ من حياته:

أولاً: رَميُهُ في حادثة الإفك:

وهو ما قالَه المنافقون من زَيفٍ وافتِراءٍ عنه وعن أمّ المؤمنين عائشةَ بعد انتهاء غزوة المُريسيع حيثُ ضاعَ عِقدُها وذَهبَت تُفتّش عنهُ حتى تركَها الجيشُ بعدَ أنْ حمَل هودجاً فارغاً ظُنَّ أنّها به (البخاري، د/ت، صفحة ١٧٧٤/٤)، ولَمّا كان صفوانُ بن المعطل في ساقة الجيش يُتابِع ما سقطَ من أفراده رأى أمَّ المؤمنين جالِسةً تنتظرُ فعرَفَها وهي مُختَمرةٌ بِجلبابِها فاسترجَع ولم يَنطُقْ بكلمةٍ معها وتأخّر حتى رَكِبَت إلى المدينة (حنبل، د/ت، صفحة ١٩٤/٦)، فقال فيها أهل الإفك ما قالُوا حتى برّأها اللهُ في عشر آياتٍ بيّناتٍ من الذِّكْرِ الحكيم تُتلى إلى يوم القيامة.

(*) كرز بن جابر بن حسيل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر وأمه أسماء بنت مالك الفهرية ، وكان كرز بن جابر مشركا له غارات فأغار على سرح المدينة وكانت ترعى بالحمى فاستاقه وبلغ الخبر رسول الله فخرج في طلبه حتى بلغ بدرا وكان لواءه في هذه الغزاة لواء أبيض ، ثم من الله عليه بالإسلام وكلفه النبي صلى الله عليه وسلم بغارات على بعض القبائل ،وشهد كرز بن جابر الحديبية وخيبر وفتح مكة وقتل يومئذ شهيدا وذلك أنه أخطأ الطريق فسلك غير طريق رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم فلقيه المشركون فقتلوه. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٩٨/٥.

(*) عياض بن غُنم : بن زهير الفهري ابن عم ابو عبيدة بن الجراح أسلم قبل الحديبية وكان من اشراف قريش وتولى فتوح الشام بعد وفاة ابو عبيدة ، وفتح بلاد الجزيرة والرقة وصالحه اهلها وهو أول من اجتاز الدرب الى الروم من المسلمين توفي سنة عشرين . ينظر : ابن عبد البر ، المصدر نفسه ، ١٢٣٤/٣.

(*) مدينة على الفرات ولها قلعة حصينة مطلة على الفرات ويحتف بها جبال كثيرة فيها الجوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لا مالك لها. ينظر : الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت : ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، عالم الكتب، (بيروت : ١٤٠٩) ط١، ٢/ ٦٥١.

(*) مدينة في بقعة تتصل بحران والرها وسطة من المدن والغالب على أهلها النصارى وبها أكثر من مائتي بيعة ودير ومواضع بها رهبانهم وبها بيعة ليس للنصارى أعظم منها وبها مياه وزروع وكان بها منديل للسيد المسيح فأخذه ملك الروم منهم . ينظر : الادريسي , نزهة المشتاق ،٢/ ٦٦٣.

ثانياً: خِلافُه مع حسانَ بن ثابت وضربُه إيّاه:

كان أصلُ الخلاف كما يُذكَرُ أنّ حسانَ قال في صفوان وأتباعِه :

أرَى الجَلابِيبَ قد عَزُوا وقد كَثُروا * وابنُ الفَريعَةِ أمسَى بَيضَةَ البَلَدِ فبلغَ ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: من لي بالقائل فقال صفوان بن المعطل: أنا لك يا رسولَ الله . فخرج إليهم واخترَطَ سيفُه، فلمّا رأوهُ مُقبِلًا عرَفوا في وَجهه الشرَّ، ففرّوا وتَبَدّدوا، وأدركَ حسانًا داخِلا بيتَه، فَضَرَبَه، فغَلَق بيتَهُ. فضَرَبَه فَفَلَقَ إليَتَيه ، فبَلَغَني أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم عوّضَه وأعطاهُ حائطا وزوّجه سيرين أختَ ماريّةَ القُبطية (ابن شبة، ١٩٩٦، صفحة ٢٧٣/١)، وقيلَ إنّ السبب كلامُه مع أهل الإفك عنه وعن أمّ المؤمنين.

ثالثا: وفاتُه:

إختلَفَ المؤرّخون في وفاته ما بينَ قائلاً بأنّه تُوفّي على عهدِ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (الطبري، ١٩٦١، صفحة ٤٨٤/٢)، حيثُ أورَدَ سبطُ بن الجوزي(*) عن أحد مصادره : أتينا بولا في بعث، فقال لي شيخ من أهلها قد بلغ مئة سنة أو زاد عليها: أتريد أن أريك قبرَ صفوان بن المعطل؟ قلتُ: نعم، فإذا هو من بابها رمية بحجر. وقال: رَمَينا فقَتلناه. قال: فبَلَغ عمرُ قَتلَهُ، فدَعا علينا دعوةً إنّا لَنعرفُها إلى الآن (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، صفحة ٣٠٩/٥)، ومَن قائلٌ بأنه عمرُ أواخر عهد معاوية بن ابي سفيان (رضي الله عنه) (ابن عساكر، ١٩٩٥، صفحة ١١/٤)، وهذا الاختلاف بسبب أنّ التدوين وتَثبيتَ سَنواتِ الوفاة والحوادث كان مُتأخِّراً في القَرن الثالث الهجري ممّا يدعو لِوُقوع أخطاءٍ في تحديد دقيق لهذه الحوادث، فقد أورَد ابن عساكر أنّه لم يمُت شهيدا في أرمينية بل عَمّرَ حتى جاوَزَ الستين سنةً (ابن عساكر، ١٩٩٥)، وقد شاطرهُ ابنُ الجوزي في هذا حيثُ قال إنّه جاوز الستين من عُمُرِه عند وفاته (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، صفحة ٣٠٩/٥)، كما أنّ سماعَ التابعين له أمثال أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي والذي وُلِدَ في خلافةِ عمرَ بن الخطاب (رضي الله عنه) وعُرِفَ بِراهِبِ قُريش وقد رُدَّ يومَ الجَمَل ٣٦هـ لِصِغَرِ سِنِّهِ (الذهبي، ١٩٦٣، صفحة ٤٢٥/٦)، يدلُ على تأخُّرِ وَفاتِه لِعصر معاويةَ بن ابي سفيان، وهذا يعني أنّ التاريخ الثاني أقربُ للصواب بسبَبِ أنّ صفوانَ كان شابًّا في عهد النبي ولا يَصِلُ عمرُه إلى ستين بعد وفاة النبي بثمانِ سنين أي سنة ١٩هـ، وقد عُلِمَ قبرُ صفوان في الجزيرة ويوتَى ويُصلَّى عليه (ابن خياط، ١٩٩٣، صفحة ٥٨٣)، فرَحِمَهُ اللهُ.

الخاتمة:

ممّا تقدّم يَتبيّنُ لنا ما يأتي:

١. قتالُ المسلمين في بِيئة غريبة عليهم تَمتازُ بالبَردِ الشّديدِ والظُروفِ المناخية القاسية ، يؤكِّدُ وبِشَكل لا يَقبلُ الشكَّ ، الإمكانية الكبيرة في التحوُّلِ والمَقدِرَة والمُرونَة في التكييف مع المُستَجِدّات ، بل ان احكام فقهية اخذها المقتلون واهل تلك البلاد من الصحابة الذين شاركوا في فتوحات ارمينية واذربيجان وخير مثال على ذلك , عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي كان يقصر الصلاة لمدة ستة اشهر من شدة الثلج والبرد , وه

٢. الإيمانَ بموعودِ الله عزّ وجلّ في النّصرِ والتّمكين ، كانا أبرزَ الأسلحة التي اعتَمَد عليها االصحابة الأكارم في في نشر الاسلام وفَتح بُلدان لم تطَئها أقدامُ عربيٍّ أو مُسلمٍ من قَبلُ .

٣. على الرُّغمِ من الإنجازاتِ الكبيرة التي حقّقها الصحابة , ولكن ما يَلفِتُ النّظرَ في سِيرَة كثير منهم قِلّةَ المعلومات التي تحدّثت عن جوانبَ كثيرة من حياتهم العامة أو الخاصة ،منهم الصحابي صفوان بن المعطل , بل ان قسم من الصحابة اختلف المورخون والمحدثون في سنة وفاتهم ويصل الاختلاف في مدة طويلة قد تتجاوز عشرات السنوات , والصحابي صفوان بن المعطل احد هولاء الذين اختلف في سنة وفاته بين قائل انه توفي في عهد عمر بن الخطاب واخر انه توفي في خلافة معاوية بن ابي سفيان .

٤. لقد كان من مُقتضيات الفُتوح في تلك البلدان وغيرها الدعوة الى الإسلام وتعليمُ اللغة العربية، وكان للصحابة مَقدِرَةً وشان في هذا, حيثُ ذُكِرَ أنّ سُكانَ القوقاز دَخَلَ بعضُهم في الإسلام سنة ٢٤ هـ في نهايةِ عصرِ الفاروقِ عُمرَ بنِ الخطاب (رضي الله عنه) .ومن المؤكد ان للصحابي صفوان بن المعطل اسهام ودور في نشر الاسلام في الاماكن التي سكنها او قاتل لنشر الاسلام .ولكن المصادر لا تعطي تفاصيل ذلك.

(*) سبط بن الجوزي : ولد في بغداد وجد في طلب العلم تمذهب بالمذهب الحنفي ، اشتهر بالفقه والتاريخ وكتابه مراة الزمان خير شاهد على هذا توفي في دمشق . الذهبي ، محمد بن عثمان بن قيماز (ت : ٧٤٨هـ) ، ميزان الاعتدال في وصف الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، (بيروت : ١٩٦٣)، ٤٧١/٤ .

المصادروالمراجع:

ابو الحسين بن قانع ابن قانع. (١٩٩٦). معجم الصحابة (المجلد ١). المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الاثرية.

ابو الفضل احمد بن علي ابن حجر العسقلاني. (١٩٩٤). الاصابة في تمييز الصحابة. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر. (١٩٩٥). تاريخ دمشق. بيروت: دار الفكر.

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري. (١٩٦١). تاريخ الرسل والملوك. مصر: دار المعارف.

ابو زيد عمر ابن شبة. (١٩٩٦). اخبار المدينة المنورة (المجلد ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو عمرو خليفة ابن خياط. (١٩٩٣). طبقات خليفة بن خياط. بيروت: دار الفكر.

ابو نعيم احمد الاصفهاني. (١٩٩٨). معرفة الصحابة. الرياض: دار الوطن للنشر.

ابي الفدا اسماعيل بن عمر ابن كثير. (١٩٦٦). البداية والنهاية في التاريخ (المجلد ١). بيروت: مكتبة المعارف.

ابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري. (د/ت). التاريخ الكبير. بيروت: دار الفكر.

احمد بن علي ابن حجر العسقلاني. (٢٠٠٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري (المجلد ٣). الرياض: دار السلام.

احمد بن محمد حنبل. (د/ت). المسند. بيروت: دار الجيل.

احمد بن يحيى البلاذري. (١٩٨٨). فتوح البلدان. بيروت: مكتبة الهلال.

شمس الدين يوسف سبط بن الجوزي. (٢٠١٣). مرآة الزمان في تواريخ الاعيان. دمشق: دار الرسالة العالمية.

عزالدين ابو الحسن ابن الاثير. (٢٠٠٢). اسد الغابة في معرفة الصحابة (المجلد ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن احمد المكي. (١٩٩٨). العقد الثمين في تاريخ البلد الامين. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن سعد ابن سعد. (١٩٦٨). الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر.

محمد بن عثمان الذهبي. (١٩٦٣). ميزان الاعتدال في وصف الرجال. بيروت: دار المعرفة.

يوسف بن عبدالله ابن عبدالبر. (١٩٩٢). الاستيعاب في معرفة الاصحاب. بيروت: دار الجيل.

Resources and References:

Abu Al-Hussein bin Qana' bin Qana'. (1996). Dictionary of Companions (Volume 1). Medina: Library of Historical Strangers.

Abu Al-Fadl Ahmad bin Ali bin Hajar Al-Asqalani. (1994). Al-Isabah in Distinguishing the Companions. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

Abu Al-Qasim Ali bin Al-Hasan bin Asakir. (1995). History of Damascus. Beirut: Dar Al-Fikr.

Abu Jaafar Muhammad bin Jarir Al-Tabari. (1961). History of the Messengers and Kings. Egypt: Dar Al-Maaref.

Abu Zaid Omar bin Shabah. (1996). News of Medina (Volume 1). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

Abu Amr Khalifa bin Khayyat. (1993). Classes of Khalifa bin Khayyat. Beirut: Dar Al-Fikr.

Abu Naim Ahmad Al-Isfahani. (1998). Knowledge of the Companions. Riyadh: Dar Al-Watan for Publishing.

Abi Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer. (1966). The Beginning and the End in History (Volume 1). Beirut: Maktabat Al-Maaref.

Abi Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Bukhari. (No. d). The Great History. Beirut: Dar Al-Fikr.

Ahmad bin Ali bin Hajar Al-Asqalani. (2000). Fath Al-Bari Explanation of Sahih Al-Bukhari (Volume 3). Riyadh: Dar Al-Salam.

Ahmad bin Muhammad Hanbal. (No. d). Al-Musnad. Beirut: Dar Al-Jeel.

Ahmad bin Yahya Al-Baladhuri. (1988). Futuh Al-Buldan. Beirut: Maktabat Al-Hilal.

Shams Al-Din Youssef Sabt bin Al-Jawzi. (2013). Mirror of Time in the Histories of Notables. Damascus: Dar Al-Risalah Al-Alamiyyah.

Ezz Al-Din Abu Al-Hasan Ibn Al-Athir. (2002). Lion of the Jungle in Knowing the Companions (Volume 2). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Muhammad bin Ahmad Al-Makki. (1998). The Precious Necklace in the History of the Safe Country. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Muhammad bin Saad bin Saad. (1968). Al-Tabaqat Al-Kubra. Beirut: Dar Sader.

Muhammad bin Othman Al-Dhahabi. (1963). The Balance of Moderation in Describing Men. Beirut: Dar Al-Ma'rifah.

Yusuf bin Abdullah bin Abdul-Barr. (1992). Comprehension in Knowing the Companions. Beirut: Dar Al-Jeel.